

القصص

منذ أحد عشر عاماً في سان مالو

للأستاذ الشهرير بانيت استراتي

Panaït Estrati

ترجمة على كامل

في اليوم الخامس عشر من أغسطس الماضي كان قد مضى خمسة عشر عاماً على نشر قصتي الأولى (كيرا كيرالينا) في مجلة (أوروبا)

لقد كنت في ذلك الوقت رجلاً سعيداً . فقد كانت صحتي أولاً خيراً مما هي اليوم ، ولم أكن أحمل هذه المشاغل التي تسحقني سحناً . كذلك كنت أشعر بالسعادة لأنني كنت قد انتهيت من كتابة قصتي (كيرا) وأنا أشتغل مصوراً فوتوغرافياً مبتدئاً . أنتم بالحرية والروح . وكنت أعتقد أنني قد (فتحت نقباً في السماء) كما يقولون في رومانيا . وأخيراً كنت سعيداً لأنه كان لي صديقة صغيرة من الأناضول أرادت عن طيبة خاطر أن تشاركني

مصري كصبور فوتوغرافي متنقل وليس هذا بالأمر اليسير . كان الشهر شهر يوليو عند ما اتخذت أولاً طريق بانول

دولورن ، وقد تلححت بمجهاز فوتوغرافي جديد وجنيل بجوارتي رقيقى الباسلة . على أنني لم أقم إلا مدة قصيرة في هذه البلدة التعبة للأعصاب حيث شراب السدر الرائع ، والثابتة الممتدة الأطراف ، ولم يكن شراب السدر هو السبب في قصر مدة إقامتي ، بل للسبب هو تلك الغابة التي بها ، ذلك أن صديقتي كانت تحبها حباً جماً . وأسفاه ! لقد كانت تحبها على الخصوص حين تحبب لها الآلة الفوتوغرافية الضيق والمصيبة فتخلق تلك المشاجرات المحبوبة التي هي فتنة الحياة البوهيمية وبهجتها . ولكي

تسرحني عن نفسها كانت تفتني في الغابة حيث كان من المسير على

أن أجدها حتى بعد مسير كيلومترات وساعات من الصباح . ذلك الصباح الذي كان يبح صوتي ثلاثة أيام . وعند ما يهبط الليل كانت رفيفتي تؤدي لي من الخدمات وهي نادمة مفعمة بالحب لي أكثر من أي وقت آخر ، وذلك مما كان يغمري بالسعادة والنميمة وبعد أسبوع قلت لنفسي : ماذا بهم ! يجب أن أذهب لأجرب آلتني في أماكن عارية مكشوفة يمكن فيها رؤية رفيفتي من بعيد عند ما ترغمها للضرورة على الهرب من أجل تهديته خاطرهما

وانتقلنا فعلاً إلى بوتورسن ثم إلى جبل سان ميشيل . ولما كنت قد رحمت رحماً عظيماً في بانول . دولورن اعترمت سكني الجبل نفسه برغم ارتفاع أجره ، وعلى الامتناع عن العمل مدة يومين ، زرنا خلالها آثار السكان التاريخية ، وأكلنا (عجة الأم بولارد) وتأملنا ملياً في مد البحر وجزره أثناء النهار والليل . وبعد هذين اليومين حملت آلتني وابتدأت أصور الانجيز الذين يريدون أن يحتفظوا بصور تذكارية لمرورهم بجبل سان ميشيل

في اليوم الأول كان كل شيء على خير ما يرام ، فصورت عشر صور في مقابل مائة فرنك . وفي اليوم الثاني انتابت فتاتي أزمة عصبية فتركتني بقسوة وحيداً ابتداء من الظهر ، فكنت مضطراً لكي أن أسرع في عملي دون احتياط كي أستطيع إنجازها ، على أنني لم أحاول أن أغضب ، بل كنت أتابع ينظراني من قبة الجبل ووجه صديقتي الرقيقة التي كانت تهديني من حصرتها بالتطلع الى الأماكن الرملية العارية في ذلك الأقليم الرائع .

كنت أقول لنفسي :
— آه ! ليس لك هنا غاية تختفين فيها . إنك مرغمة على أن تجومي حول ناظري كسمكة في إناء زجاجي
وكنت أفكر أيضاً في شراء منظر مقرب لأرى من بعيد ما الذي تفعله امرأة غصني وهي وحيدة في صحراء واسعة .

الثامنة صباحاً على الأكثر . وكان محرمًا علينا أن نستخدم باب
الترفة لأن في ذلك إزعاجاً لأصحاب الدار ، فكنّا ندخل الى الترفة
ونخرج منها من نافذة تطل على الفناء

وانتظرت ماسوف تكون عليه صديقتي في حالاتها المختلفة ،
وكنت أنظر والحسرة تمزق قلبي الى سور المدينة الشاهق . ذلك
السور الذي سوف لا تتأخر رفيقتي عن اختياره مكاناً مختقياً فيه
انتقاماً مني . والذي كانت تتحطم في أسفله بجراحم كثير من
الناس الذين كانوا يتزهون فوق سطوحه العالية . ولقد بلغ مني
العجب مبلغاً كبيراً إذ لم يحدث شيء مما كنت أتوقع . فقد
كانت رفيقتي دأمة السرور والابتسام ، وكانت تجد مجالاً واسعاً
للسخرية والهزء في غرابة أطوار صاحب الدار الذي سمح بتأجير

ولكن في اليوم الرابع من وصولنا عند ما غضبت صديقتي
للمرة الثانية وابتعدت عن الجبل الى أبعد مما تبصره عيناي لفت
نظري راهب كان يهيم بسعادتي المزيالية الى الرمل المتحرك
المشهور به ذلك الأقليم ، والذي تتعرض لخطره فتاتي إذا داومت
على زهراتها الخالية من التبصر حول الجبل أثناء المد والجزر

لقد ملأني هذا التحذير رعباً وفزعاً ، ففي اليوم الثاني
تركت الجبل وذهبت الى سان مالو حيث لا توجد غابة ولا رمل
متحرك ، بل ساحل عظيم أو بالحري ساحلان أو ثلاثة تمتد من
بارانيه الى دينار ، ويجمع من الناس أغربهم طباعاً ، فهناك ينتقل
المرء من مكان الى آخر لأنفه الأسباب ، فليس هناك غرض
يدفعه الى هذا التنقل إلا لإفهام الذين ييقون في أماكنهم أن من
يفادر بلده بعد ثلاثة أيام فاعما يكون ذلك لأنه يخشى يسى وراء
التغير والتحول

وزلنا في فندق صغير في بارانيه ، وحاولنا أن نجرب حظنا
على ساحل البحر ، ولكننا لم نصادف نجاحاً ، فقد كان هناك كثير
من المصورين وقليل من الزبائن ، ولم أستطع طول هذه الأيام أن
أحصل على نفقات الترفة والطعام التي كانت باهظة . وأكثر
من ذلك أنه كان يمر تحت المنزل تماماً ترام كأنه فيل ميكانيكي
هائل ، فكان يهز المدينة بأجمعها هزاً مرعباً كلما تحركت أطنان
الحديد الخفيفة المركب منها . وكنت أعود في المساء يفتلني التعب
والاعياء من حمل آثني الثقيلة على كتفي من أول ساحل
البحر حتى منتهاه ، وكنت أستيقظ مبكراً لكي أقتنص زبوناً
من بين المستحمين المبكرين ، فكانت حاجتي الى النوم تسحقني
سحقاً عندما ألقى بجسمي في السرير بعد المشاء . على أنه لم يكن
هناك سبيل الى النوم قبل الساعة الواحدة صباحاً حين تقف
حركات ذلك الجسم البشع الثائر

وعندما انتهى الأسبوع الأول من إقامتنا انتقلنا الى الطرف
الأخر من المدينة نبحت عن الهدوء تحت أسوارها العالية . على
أننا لم نجد مسكناً معتدلاً الثمن ، فاضطررنا أن نقنع بفرقة ممتلئة
بالأنات الترام فوق بعضه بدون نظام ، وكنا ندفع أجرها
عشرة فرنكات كل ليلة ، نعم كل ليلة لا كل يوم ، فقد كان
لزماً علينا ألا ندخلها إلا في المساء وأن نخرج منها في الساعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النظرية العامة للالتزامات

الجزء الأول

في نظرية العقد

ظهر الجزء الأول من كتاب النظرية العامة للالتزامات
للدكتور عبد الرزاق أحمد السهوري أستاذ القانون المدني
بكلية الحقوق سابقاً والمحامي أمام محكمة النقض والإبرام . وقد
تناول هذا الجزء بحث نظرية العقد وما تشتمل عليه من
نظريات قانونية خطيرة كمنظرة تكوين العقد والتعاقد بالمراسلة
والأهلية وعيوب الرضاء والبطلان والفسخ والخلف العام
والخلف الخاص والدعوى غير المباشرة والدعوى البوليصية
ودعوى الصورية والتعهد عن الغير والاشتراط لمصلحة الغير
وتفسير العقد والمسئولية التعاقدية ونظرية الحوادث الطارئة
وغير ذلك من المسائل القانونية التي تعتبر أساساً للقانون المدني
ولا يستغنى عن الرجوع اليها كل مشتغل بالقانون ، وهو يقع في
ألف صفحة ومائة من القطع الكبير ، وقد طبع في دار الكتب
وتمن هذا الجزء جنيه مصري واحد (عدا أجرة البريد)
ويطلب من لجنة التأليف بشارع الكرداسي رقم ٩ ومن
مكتبة الانجلو ومكتبة النهضة والمكتبة التجارية والملايل
ومن نادي المحامين بشارع فؤاد الأول

كانت كافية لأن يسود السكون التام في غرفتي
قالت صديقتي وهي تنظر إلى باب الغرفة وقد انتابها
شحوب شديد :

— إذن ليس مسموحاً للمرء أن يضحك في سان مالو ، بينما
يرغم على الدخول في داره من النافذة كي ينام في سرير أشبه
بناووت ميت مدفون تحت أربعة دواليب ؟
لقد كان لها حق فيما تقول . وكذلك كان لحفيد القرصان . ولم
يبق إلا أنا التي رأيت واجباً على أن أستسلم كالعادة مرة أخرى
وأرضى بالأى يكون لي كلمة في منزلي

ولقد بذلت جهدي في أن أحصر الضرر ، فوعدت صاحبتى
أن تنتقل من الغرفة سريعاً . لسوء حظي هبت عاصفة على البلدة
في اليوم التالي لتلك الحادثة فامتنت على الوسيلة الوحيدة
لكسب قوتي ، إذ أن الرياح التي كانت تبعث السرور الى نفوس
المتحمسين كانت تهدي آلتى في كل لحظة بالانقلاب ، ولكي
أقاوم ساعتين على ساحل البحر من أجل التقاط اثنتى عشرة
سورة ، كان لا بد لي أن أحمل من الصبر ما لا يمكن أن أتطلبه من
فتاتى . فقد كانت فتاة رشيقة برغم انها خياطة بسيطة . وكانت
تحب أن تكون نظيفة وقوراً حنة الهندام ، فلم تكن تستطيع
العمل مئى ، لأن الرياح كانت تبعث بشعرها وتضرب رداءها
(القول) بقطع الملح فتغطيه يقع صفراء ، ذلك أن عملها كساعده
لى تنسل الصور وبجفها وتسلمها الى أصحابها ، كان هذا العمل
يدفعها الى البحث على ساحل البحر وفي الفنادق . لذا لم تقم لى
بمساعدة ما ، وتركتنى وحيداً أقوم بكل مراحل الحرفة التى
نعيش منها .

قالت لى :

— تصور مركزى عند ما أكون أقدر النساء البوهيميات .
ليس لى هنا ما أفعله . سأذهب لأبحث عن عمل ... فى الخياطة
أو غيرها . فإذا وجدت قاعلم يقينا أننى لن أعود مطلقاً !
تركتنى عند الظهر وكان فى جيبها الصغير خمسة فرنكات ،
ولم تكن قد تناولت بعد طعام الغداء ، جلست على شاطئ
البحر عظم القوى وعدت على ذراعى ، أنظر إليها وهى تنيب عن
عينى ، وقد ملكها الألم وأوشكت أن تنفجر بالبكاء . ولقد كان

آخر غرفة (معدة للايجار) لديه على أن يدخل المتأجر إليها
ويخرج منها من النافذة !

ولكى أثير حب استطلاع فتاتى التى كانت تعجب بقصص
المهريين ؟ قلت :

— إنه يبدو لى تماماً أن هذه المدينة كانت موطناً لقرصان
البحر القدماء

فارتعدت صديقتى عندما تذكرت أننا نعيش تحت سقف
أحد أحفاد القرصان وقالت :

— هل يؤذى الناس أولئك الرجال ؟
فأجبتها :

— إنهم لا يؤذون النساء ولا المصورين التنقلين ، وقضيت
أسبوعاً فى العمل متمتاً بالهدوء ، إننى لم أكن أريح كثيراً
ولكن سعادتى فى ذلك الوقت كانت فى التصمك مع رفيقتى
المحبوبة دون أن يقع بيننا نزاع . لقد كنت مغموراً بالنميم طوال
ذلك الأسبوع ، وكنت أعتبر نفسى مديناً بهذا النميم الى صاحب
الدار حفيد القرصان

نعم لقد كان يبعث السرور الى قلب صديقتى عندما كان
يرغمنا على تعلق النافذة فى الساعة العاشرة مساءً ، ثم يدخل من
باب المطبخ ليطلب الايجار اليومى لفرقة ، ثم يعادى الغرفة بمجرد
حصوله على المشرة فرنكات . ولكن فى هذه اللحظة القصيرة
كان جسمه الضخم يجرنا من المتر المكعب الوحيد الذى سمحت
لنا به الأربعة (دواليب) التى كانت تملأ غرفتنا الصغيرة ، وكانت
رفيقتى تقول وهى غارقة فى الضحك كجنونة بعد أن غيرت رأيها
فى حفيد القرصان :

— ماذا يكون حالنا لو شرع حفيد القرصان بقصص علينا
ذات ليلة أعمال أجداده . إننا سوف نموت بالاختناق !

وهكذا كنا نظل حتى منتصف الليل فى الضحك والتنادر
ولكن لكل شىء نهاية . فى ذات ليلة بعد أن أدخل حفيد
القرصان كتفيه بصموبة ماداً ذراعاه ليتناول تقوده نظر الى فتاتى
بعينين مفترستين وقال :

— إنك تضحكين كثيراً أيتها السيدة !

كانت هذه العبارة القصيرة هى كل ما قاله ، ثم خرج ، ولكنها

وصلني بالتلغراف الأربعمائة وعشرون فرنكاً وهي حقوق تأليف
قصة (كبراً) التي احتوت على اثنتين وأربعين صفحة من مجلة
(أوروبا) نشرت في الخامس عشر من شهرى أغسطس وسبتمبر
عام ١٩٢٣

وفي الليلة التي تلت هذا الحادث العظيم في حياتي كنت
مريضاً لما انتابني من النعيم والسعادة فلم أتم مطلقاً ، وأطبقت
ذراعي في صمت ، ناسياً رفيقتي التي لم تكن تفهم شيئاً لحالتي
ولا (جوركي البلقاني) وساءلت قلبي وهو خير أصدقائي وأكبر
أعدائي قائلاً :

إلى أين نحن ذاهبون ؟ إلى أين نحن ذاهبون ؟

لم نذهب إلى أى مكان .. ولقد صدق رومان رولان حين قال
لي يوماً من الأيام :

(إن الانسان في هذا العالم لا يحدث في عمله أو حياته
تغيراً كبيراً)

مظهرها يحمل حقاً كل معاني الطهر والصفاء مما أفهم قلبي بالحزن
والحسرة من أجل هذه المرأة الصغيرة الجميلة
ولم أتناول أنا أيضاً طعام الغداء ، فقد تراكت على الحشرات
وكانت كل نروقي عشرين فرنكاً ، أى عبارة عن أجر ليكنين عند
حفيد القرصان

وبعد أن أعدت أدوات عملي خرجت أجوب المدينة .
وكانت الريح تدوى دون انقطاع ، فكنت أسائل نفسي : ما الذي
يؤول إليه حالى إذا لم أوفق الى جمع الثلاثين فرنكاً التي هي أقل
ما يمكن أن أحتاج اليه يوماً . وكنت أعرف تماماً أن صديقتي
لا يمكن أن تنفذ كل تهديدها لأنها كانت مثلي تبغض العمل
أثناء النهار ، ومع كل ذلك فإن منظرها وهي تتركبني بقى مائلاً
أمامى ، وكان يزعق قلبي تعزيقاً . وكان حتى لواجهات المحلات
التجارية يبعثنى أحياناً بطريقة آلية ، على أننى كنت أتطلع الى
الواجهات دون أن أرى شيئاً ، لأن فكرى كان يتابع صورة فتاتي
التي ظهرت لي وكأنها قد انتزعت منها كل فتنة ، فبدأ لي
الشعر مهملأ ، والرداء مرقعاً ، والوجه مستهلكاً يائساً

وفكرت ثانية في مصيرى . ذلك المصير الذي دفنت ثمنه
غالياً لأشهر يوماً بشمس الحرية تدفئني . ومثلت أمامي مرة
واحدة فكرة بعثت الشرر في عيني . فقد وجدت نفسي أمام
متنوعة مكتبة . وفي الوسط أمام عين الناظر ، رأيت مجلة (أوروبا)
وكان غلافها الأصفر محاطاً بغطاء أخضر ، ولم يكن مكتوباً عليه
غير الموضوعين الأولين من موضوعات المجلة وهما :

جوركي البلقاني بقلم رومان رولان

كبراً كبراً لينا « بانيت استراتى

شعرت بأن ساقى قد خارت قواها ، ودخلت في المكتبة وأنا
أكاد لا أستطيع السير ، ورأيت بطن طينياً كأن بداخله بحراً
هائجاً ، واشترت المجلة وضممتها إلى قلبي المضطرب ، وذهبت
كالمجنون إلى شرفة مقهى كبير وطلبت نوعاً من الشراب ، وسجائر
فاخرة ، وقرأت ثم قرأت مقال (جوركي البلقاني) وأنا أذرف
الدموع الحارة الصادقة على عبارات ذلك الرجل الذي كان مقاله
هذا ضربة حديدية صارمة غيرت مجرى حياتي ومصيرى . وبعد
ذلك أرسلت رسالة تلغرافية إلى الناشر : وفي ظهر اليوم التالي

الاثنين ١٢ نوفمبر ١٩٢٤

محلات شمالاً

تفتتح التوسيع الكبير في فرع

الرياضات

لمدة أسبوع فقط

أقمشة قطنية - حرير

أمان مخفضة للغاية

زيارة واحدة لهذا الفرع من كل سيدة أتيقة لا بد لها من الشراء